٣

الدعوة إلى الإسلام *

القسم الأول

منهج القرآن فى الدعوة إلى الإسلام

١ ـ الدعوة جزء من الإسلام

ليس هناك من خلاف بين المسلمين على أن الإسلام دين دعوة ، وآيات القرآن الكريم الداعية إلى ذلك ، وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وحياته ، وتاريخ الإسلام كله تأصيل لذلك وتطبيق له .

والله تبارك وتعالى يقول فى كتابه : « وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وعَمِلَ صَالِحًا وقال إِنَّنِى من المسلمينَ »

[فصلت : ٣٣] .

ويخاطب رسوله بقوله : « يا أَيُّهَا النبىُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا

---

* ألقى هذا البحث ونوقش فى المؤتمر الإسلامى العالمى ، الذى عقد فى كوالالمبور عاصمة ماليزيا ، فيما بين ٢١ ، ٢٧ من أبريل ١٩٦٩ (المحرم ١٣٨٩ هـ) .

وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا »
[الأحزاب : ٤٦] .

ويوجه خطابه إلى المؤمنين محدداً مهمتهم بعد مهمة الرسول فيقول :

« وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ، مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ، هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ، وَفِى هٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ، فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ » [الحج : ٧٨] .

٢ ـ الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة

وسبيل الإسلام إلى ذلك الإقناع الفكرى ، وإزالة الأغشية التى تحول بين الناس وبين الإيمان بالله ، والإسلام يخوض هذا الصراع الفكرى واثقاً من الحق الذى يدعو إليه . وفى هذا يقول الرسول مخاطباً قومه كما علمه ربه : « قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ : أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ، مَا بِصَاحِبِكُمْ مِن جِنَّةٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ : مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ

أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ . إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شيءٍ شَهِيدٌ * قُلْ : إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بالحَقِّ علاَّمُ الغُيُوبِ * قُلْ : جاءَ الحقُّ وما يُبْدِئُ البَاطِلُ وما يُعِيدُ * قل : إِنْ ضَلَلْتُ فإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي . وإِن اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي ، إِنَّهُ سميعٌ قَرِيبٌ » [سبأ : ٤٦ – ٥٠] .

وينهى الإنسان عن أن يسير فى الحياة بغير دليل يقتنع به وفى هذا يقول الله : « ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ . إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤادَ ، كُلُّ أُولئك كَانَ عنْه مَسئُولاً » [الإسراء : ٣٦] .

ويحدد أسلوب الدعوة بقوله : « ادْعُ إِلى سبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ ، وجَادِلْهُمْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ، إِنَّ ربَّكَ هُوَ أَعْلمُ بِمنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ، وهُوَ أَعْلمُ بالمُهْتدِين » [النحل : ١٢٥] .

ويعتبر عدم إعمال العقل ذنباً يستحق الإنسان عليه العذاب يوم يلقى الله . وفى هذا يقول تعالى واصفاً بعض أهل النار : « وقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَو نَعْقِلُ مَا كُنَّا فى أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِم فَسُحْقاً لأَصْحَابِ السَّعير » [الملك : ١٠ – ١١] .

٣ ـ التكامل التاريخى فى الدعوة

ويفتح القرآن المجال واسعاً أمام المسلم ، ليستفيد من جميع الخبرات الإنسانية عبر التاريخ ؛ من الخليقة عندما أبدعتها يد الله ، والإنسان عندما نفخ فيه من روحه ؛ وتتابع الرسالات حاملة الهدى والنور إلى الإنسانية ؛ حتى اكتملت بخاتم الأنبياء والمرسلين ، ثم هو يدعوه إلى الاستفادة من كل خبرة لاحقة دون انطواء أو انغلاق .

والمسلم فى هذا مأمور بالإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين : «آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنْزِلَ إليه مِنْ ربِّهِ والمؤْمِنُونَ ، كلٌّ آمن باللهِ وملائكتهِ وكُتُبهِ ورُسُلِهِ . لا نُفَرِّقُ بَيْن أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ . وقَالُوا : سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ المصيرُ » [البقرة : ٢٨٥] .

بل إن هذا الحشد الكريم الذى يقصه ربنا علينا فى القرآن لا يستغرق جميع الرسالات السماوية . وبين أيدينا قول الله عن الرسل : «مِنْهُمْ من قَصَصْنَا عَلَيْك وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » [غافر : ٧٨] .

ومن هنا ينفتح أمامنا باب واسع من أبواب الدراسات الدينية المقارنة ، التى تغطى جميع الديانات ذات الكتب التى يقدسها أتباعها ، وإن لم يرد لها ذكر صريح فى كتاب الله .

وما أكرم ما نقرأ فى القرآن من ذكر النبوات متتابعة ، وثناء الله – جل وعلا – على جميع الجهود الكريمة التى بذلها النبيون والذين آمنوا معهم : ولنأخذ نموذجاً لهذا العرض الرائع كما جاء فى سورة الأنبياء وتعقيب ربنا عليه : « إِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً واحدةً وأَنا رَبُّكُمْ فاعْبُدُونِ » [الأنبياء : ٩٢] .

أمة واحدة مهما تتابعت العصور . يرجعون جميعاً إلى رب واحد ، أرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين ، يهدون إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

٤ – التكامل المكانى والإنسانى فى الدعوة

وكما تمتد الدعوة زمانياً ، لتشمل جميع الجهود المبذولة من أجل الإيمان والعمل الصالح عبر التاريخ ، فإنها تمتد مكانياً ، دون أن تقيد نفسها بقطر أو قارة أو مجموعة محدودة من القارات أو جنس من الأجناس. والقرآن الكريم خاطب قريشاً أول الأمر ، بقضايا يستطيعون أن يكونوا أكثر إحساساً بها من الناحية المكانية : قصة أصحاب الفيل ، رحلة الشتاء والصيف . ثم توسع مكانياً فعرض لقضايا عالمية وقتئذ ، كالصراع بين الفرس والرومان ، ونزل فى هذا قول الله : « غُلِبَتِ الرُّومُ * فى أَدْنَى الأَرْضِ ، وهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فى بِضْعِ سِنِينَ لِلّٰهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ ومِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللّٰهِ . يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

وَعْدَ اللهِ لا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ ، ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ »
[الروم : ٢ — ٦] .

وعندما تحدثت سورة الكهف عن قصة ذى القرنين ، قال الله فى شأنه : « إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فى الأَرْضِ وآتَيْنَاهُ من كلِّ شىءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ » [الكهف: ٨٤–٨٦]

ثم قال بعد هذا العرض : « حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ » [آية : ٩٠]

ودون دخول فى تفاصيل هذه الأمكنة يكفينا ، فى مجال الدراسة ، هذه الإشارات إلى سعة الرحلة والتجول ؛ وإليها إشارة أخرى فى قول موسى لفتاه فى نفس السورة : « لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ البَحْرَيْنِ أَو أَمْضِيَ حُقُباً » [آية : ٦٠]

فطلب العبرة يقتضى من المؤمن ألا يتقيد بمكان ، وألا يقتصر على موطن ؛ فالحكمة ضالة المؤمن ، كما يعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومع هذه العناية بالتوسع المكانى فى العبرة ، توسعاً يصل إلى مشرق الشمس ومغربها ، ويدعو الإنسان إلى متابعة الجهد ، حتى لو أمضى فيه الحقب ؛ فإنه يلفته إلى ما بين يديه من آيات ، فلا يشغله البعيد عن القريب ، بحيث يصرفه ذلك عن روائع لا تحتاج منه وهو فى مكانه ، إلا إلى أن يفتح حواسه وقلبه . من أجل ذلك يحذرنا ربنا فيقول :

« وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فى السَّمواتِ والأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ » [يوسف : ١٠٥] .

والإسلام دين الإنسانية كلها . دون تفرقة عنصرية أو عصبية إقليمية . والله يخاطب رسوله قائلا : « وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ » [الأنبياء : ١٠٧]

٥ ـ التكامل الموضوعى

ويضم القرآن إلى الأبعاد المكانية والزمانية والإنسانية بعداً رابعاً من التكامل الموضوعى . فمع تأكيد الإيمان بالله والعمل الصالح والجزاء كقاعدة مشتركة فى الأديان جميعاً ، إلا أنه يركز فى كل قصة من قصصه . وكل دعوة من دعواته على ناحية أو نواح معينة هى التى يحتاج إليها المجتمع أكثر من غيرها فى مرحلة معينة من نواحى تطوره .

ولنأخذ أولا الأصول المشتركة بين الأديان جميعاً فى قوله تعالى :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُون والنَّصَارَى مَنْ آمَنَ باللهِ واليومِ الاخرِ وعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » [المائدة : ٦٩] .

هناك أولا الإيمان بالله ، وثانياً باليوم الآخر ، وثالثاً التعبير عن ذلك بالعمل الصالح فى هذه الحياة الدنيا . ولا بد فى الدين من الارتباط بين العمل والعقيدة : نجد هذا فى أكثر من آية من كتاب الله :

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً » [الكهف ١٠٧] وقوله : « إِنَّ الَّذِينَ

قَالُوا : رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ : أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ، وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » [فصلت : ٣٠] .

ومن هذا المنطلق العريض فى قوله تعالى : « وعمل صالحاً » ، تسعى الإنسانية إلى كل الخير ، وتتعدد وتتنوع صور هذا الخير مع سير الحياة . ولنأخذ لذلك بعض الأمثلة :

(ا) لقد كانت القضية الكبرى التى يعنى بها نبى الله شعيب عليه السلام ، مرتبطة بالأوضاع الاقتصادية فى مجتمعه . ويصوّر القرآن الكريم هذا فيقول : « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً ، قَالَ : يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰه غَيْرُهُ ، قد جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، فَأَوْفُوا الكَيْلَ والميزَانَ ولا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ، وَلا تُفْسِدُوا فى الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ، ذَلِكُمْ خيرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمنينَ » [الأعراف : ٨٥] .

والآية تربط بين العقيدة وتطبيقها العملى فى المجتمع ، بحيث يتجه التطبيق إلى مشكلاته ، فيكون حل المشكلات تعبيراً عملياً عن الإيمان .

(ب) وقد تأخذ صورة تخطيط علمى ، يحاول به مجتمع أن يحل مشكلاته ، وينظم موارده وادخاره واستهلاكه على أساس سليم . والنموذج بين أيدينا من قصة يوسف عليه السلام :

« تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ . ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ ما قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِى مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ »
[يوسف : ٤٧ — ٤٩]

(جـ) وقد يأخذ الإيمان صورة مشروع كبير تحاول به أمة أن تحمى نفسها من أعدائها . والقرآن الكريم يعطينا تصويراً عملياً لهذا فى قصة ذى القرنين عندما قال : « ما مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْماً » [الكهف : ٩٥]

ثم لما بنى السد قال : « هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى » [الكهف : ٩٨] .

(د) وقد يأخذ الإيمان صورة تنظيم سياسى يوضح العلاقة بين القيادة والقاعدة فى مثل قوله تعالى مخاطباً رسوله : « فَبِمَا رَحْمَةٍ من اللهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فى الأَمْرِ فإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ . إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِينَ »
[آل عمران : ١٥٩] .

(هـ) وقد يأخذ صورة الاستعداد العسكرى لحماية الوطن ورد

العدوان عنه . وفى هذا نقرأ قول الله تعالى : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ . اللهُ يَعْلَمُهُمْ ، وما تُنْفِقُوا مِنْ شَىءٍ فى سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ » [الأنفال : ٦٠]

(و) وقد يأخذ صورة تقسيم عمل تجمع فيه الأمة بين الاستعداد العسكرى والتخصص العلمى . وفى هذا يقول الله تعالى : « وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ، فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدِّين وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » [التوبة : ١٢٢] .

والنماذج على هذا من قصص القرآن كثيرة ، ترينا كيف أن الدين متفاعل تفاعلا دائماً ومباشراً مع قضايا الحياة ، يحاول باستمرار أن يحل متناقضاتها ، وأن يقضى على نوازع الشر فيها ، ويفتح للمجتمع دائماً طريقاً إلى التقدم والصعود . ويجمع هذا كله ما ذكره الله تعالى مبيناً مهمة الرسول : « يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ . وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ، وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ » [الأعراف : ١٥٧] .

ولنقف طويلا عند هذه الآية ، وكيف يجعل الله دينه ورسوله ومهمته

أن يضع عن الناس الآصار والأغلال . لينطلقوا عاملين مؤمنين على طريق الحياة والإيمان .

الإسلام بهذا يدعو دائماً إلى العمل وإلى الصعود ، وإلى إزالة العقبات من طريق الحياة والتقدم ، وهو يتصدى للمشكلات ، محاولا دائماً أن يحلها على قاعدة من الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح الذى يصلح به وجه الحياة .

obeikandl.com

القسم الثانى

من مصادر الدين إلى واقع الحياة

٦ ــ الشمول ومقابلة المشكلات

ومع الشمول المكانى والزمانى والموضوعى الذى حدد لنا القرآن الكريم أبعاده ، إلا أنه فى قصصه كان يقابل مشكلات المجتمع ويعرض حلولها . وقد تتباين هذه المشكلات ، ومن طبيعتها أن تتباين ؛ ولكن الأساس يبقى واحداً ، وهو الارتباط القوى بين الدين والحياة ، ومواجهة التحديات التى يفرضها سير الحياة فى تدفقه المستمر .

وإذا ما عدنا بهذه النظرة ، إلى الموضوعات التى سبق عرضها من مشكلات المجتمع قبل الإسلام ، وفى قاعدة الإسلام فى المدينة كما وضحها القرآن الكريم ، رأينا هذا الخط الرئيسى من مواجهة المشكلة ، ومحاولة التغلب عليها : نموذج شعيب فى موقفه من الانحراف الاقتصادى فى مجتمعه ، وموقف يوسف عندما وجد فى التخطيط الطويل السبيل الوحيد لنجاه المجتمع من مجاعة تنتظره : وموقف ذى القرنين عندما أقام السد .

ومن هنا كان على الدين وأهله أن يديروا هذا الحوار الخصب فى مشكلات مجتمعاتهم ، ليحددوا بها القضايا الكبرى التى عليهم أن يواجهوها ، دون أن يقعدوا بالدين عن هدف نبيل عليهم أن يقصدوه ، وإن بعدت الشقة وكثرت التضحيات .

فقد تكون السبيل الوحيدة المفتوحة أمام أمة لتناول حقها ، أن تخوض من أجل ذلك حرباً ، والنفوس عندئذ تتنازعها عوامل من حب البقاء والرغبة فى القيام بالواجب ، والقرآن الكريم يقابل هذا الصراع النفسى مقابلة موضوعية ، ويربط ما بين صعوبة الطريق وكرامة الهدف فيقول :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ . وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » [البقرة : ٢١٦] .

ويصف الله أقواماً كانوا يعيشون مع الرسول الأعظم فى قاعدة الإسلام فى المدينة فقال فيهم : « لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصداً لاتَّبَعُوكَ ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ ، يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ ، واللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ » [التوبة : ٤٢] .

وكما حدث هذا مع الرسول الكريم حدث مع الأنبياء السابقين ، فخاطب الله بنى إسرائيل بقوله : « وآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ، وَلاَ تَشْتَرُوا بِآيَاتِى ثَمَناً قَلِيلاً وإِيَّاىَ فَاتَّقُونَ * ولا تَلْبِسُوا الحَقَّ بالبَاطِلِ وتَكْتُمُوا الحَقَّ وأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [البقرة : ٤١ ـ ٤٢] .

ويلقى هذا على المجتمع أن يتحقق من وضوح رؤيته لمشكلاته الحقيقية ، ويزيل عن وجهها ما قد يحجبه من غيوم النفوس أو العقول ، ليسلك إليها طريقه؛ بعد هذا على هدى وبصيرة .

٧ ـ المنهج العلمى لإدارة الحوار

وفى إدارتنا هذا الحوار الخصب مع مشكلاتنا على مستوى العالم الإسلامى ، علينا أولا أن نحدد أبعاد المشكلات التى تقابلنا على الطريق :

فالقرآن واحد ، والرسول واحد ، والكعبة واحدة ، إلا أن التطور التاريخى الذى مرت به أرض الإسلام وشعوبه ، والتفاعلات الحضارية المتنوعة والمتشابكة ، جعلت هناك فروقاً فى الاتجاهات الحضارية لا سبيل إلى التغاضى عنها ، ونحن بسبيل الحديث عن التعاون .

وإذا ما كان الوطن الإسلامى الكبير يمثل قارة وسطى بين قارات العالم القديمة ، فإن هذا الموقع المتوسط قد فرض عليه أن يكون ـ إلى جانب أصالته ـ معبراً حضارياً بين حضارات كبرى فى الشرق الأقصى وأوربا والعالم الجديد ، كما كان من قبل ، عند ظهور الإسلام ، معبراً حضارياً بين الشرق الأقصى وجبهته فى فارس ، وبين العالم الأوربى وجبهته فى ديار الروم القريبة .

وهذا التواصل الحضارى للأمة الوسط يعطيها بطبيعته ، مرونة فى تقبل الجديد ، وحسن إدراك لوجهات نظر الآخرين ، ولكن التفاعل الضخم الذى مرّ على العالم الإسلامى ، بعد عهد الكشوف الجغرافية ، وما زال مستمراً حتى الآن ، فتح أكثر من نافذة على أرض الإسلام ، وصبغ بعض أقطاره بصبغات حضارية متنوعة ، تفاعلت مع الإسلام والعقائد الموروثة قبله .

وكل عالم أو باحث فى أرض الإسلام ، له تأثره بدرجات متفاوتة : بهذه المدارس الفكرية وهذه الحضارات ؛ وهذا التأثر يشكل جانباً من نظرته إلى الحياة . وهذه المدارس تتفاعل أحياناً تفاعلا هادئاً أو عنيفاً : بعضها حديث ما زال فى فتوته ، وبعضها يرجع إلى القرن التاسع عشر أو الثامن عشر . وسرعة أقطار الإسلام فى تقبل هذه الآراء أو رفضها ، تتباين حسب المواقع الجغرافية ؛ والواقع التاريخى ، ومستوى التعليم ، واتجاهات البعثات الدراسية ، ومدى المحافظة على الأصالة الإسلامية .

وتستطيع أن تدرك هذا فى كثير من الوضوح ؛ إذا ما قارنت بين سكان المدينة وسكان الريف أو البادية فى أى قطر من أقطار الإسلام . . هذا فضلا عن المقارنة بين الأقطار المجاورة لمناطق التأثير الحضارية الكبرى ، والمناطق البعيدة عنها نسبياً .

ولكن مع هذا التباين الكبير ؛ فإن نقاطاً رئيسية علينا أن نوليها عنايتنا فى الدراسة :

(ا) اتجاه التأثير الحضارى : وأقصد بذلك أن أرض الإسلام فى عهود ازدهارها كانت مركز الثقل الحضارى فى العالم ؛ وأن التيارات الحضارية كانت — إلى حد بعيد — تنبع منها وتنتقل إلى غيرها من المراكز ؛ وأن نماء أرض الإسلام وازدهارها الحضارى كان راجعاً إلى حسن الاستفادة من التراث العالمى الذى استطاعوا الوصول إليه ، وضمه إلى ما بين أيديهم من مواريث ومبتكرات ، وإعادة صياغة ذلك كله فى أنماط جديدة ، تستند أساساً إلى الطابع الإسلامى الذى يؤمن بالله ويحترم العلم . ثم جاءت بعد هذا دورة حضارية أخرى انتقلت فيها مراكز التأثير الكبرى إلى خارج أرض الإسلام فأصبحنا نستورد بعد أن كنا نصدّر ، وأخذ الصراع الجديد طابعاً غير مسبوق فى الكشف العلمى والتقدم التكنولوجى .

(ب) التحدى الكبير : وبذلك أصبح التحدى الكبير الذى

يقابل عالمنا الإسلامى الآن هو مستواه العلمى ، إذا ما قارناه بالمستويات العالمية . وهذا المقياس من أخطر المقاييس — إن لم يكن أخطرها — فى عالمنا المعاصر ، فى الحكم على أمة أو شعب .

(ج) الدين والحياة : وإذا ما كان العلم هو التحدى الكبير الذى يقابلنا ، فمن واجب الدين عينا ألا نظلمه ، وألا نعتبره مسئولا عن وضع نحن فيه ، وإنما تقتضينا الموضوعية العلمية ، أن نحدد — لأنفسنا على الأقل — مسئوليتنا ، وأبعاد العمل للمستقبل ، ونتخذ من الدين — وهذه طبيعته — دافعاً قوياً إلى العمل والصعود إلى هذه المستويات العالمية ، نشارك فيها ، نأخذ ونعطى ، دون انطواء أو تعقيد ، يصرفنا عن الاستفادة ، أو شعور بالنقص ، يدفعنا إلى قبول كل شىء قبولا تتلاشى به شخصيتنا ، ونذوب فى بحر الحياة المتلاطم . ومن قبل يحدثنا التاريخ عن أجيال لم تستطع أن تقابل تحديات الحياة ، فجرفتها الحياة وربنا يحذرنا فيقول :

« وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غيرَكُمْ ثُمَّ لا يكونوا أَمْثَالَكُمْ » [محمد : ٣٨] .

٨ — مواقف

والمسلمون أمام هذه التحديات لهم مواقف متعددة ، ولا يشترط أن يكون لكل قطر من أقطار الإسلام موقف يستغرق أبناءه جميعاً ، وأقصد بالموقف هنا الخط الفكرى والعلمى الذى يتصرف على أساسه المجتمع أو الفرد تجاه المشكلات التى يقابلها .

ومن الناحية العلمية ، هناك مواقف على المستوى القومى ، ومواقف على مستوى الجماعات أو الأفراد وأبرز هذه المواقف :

(ا) رفض الحياة الجديدة والخوف منها على إطار الحياة الإسلامية ومقوماتها .

(ب) القبول الجزئى القائم على اختيار الصالح ورفض غير الصالح من هذه الحياة . ونستطيع أن نسميه بالموقف التوفيقى .

(جـ) القبول الكامل للحياة الجديدة ، وحصر الدين فى المستوى الفردى كصلة بين الفرد وخالقه .

(د) وقد يشتد هذا القبول إلى تخطى العقيدة ، باعتبارها تراثاً تاريخياً ، عبرته الحياة فى سيرها المتدفق .

(هـ) وذروة هذا القبول اعتبار الدين قيداً على الحياة الإنسانية ، واتخاذ الوسائل لتقييد حركته وتجميده ، لكيلا ينتشر أفقياً فى المجتمع ، أو رأسياً فى أجيال مقبلة .

ونحمد الله على أن العالم الإسلامى فى جملته لا يرفض الحياة الجديدة ولا يرفض الدين ، وأن أغلب المسلمين الآن على طريق القبول الجزئى القائم على اختيار الصالح ، ونفى غير الصالح ، ولكن لكل قطر من أقطار الإسلام تكوينه الاجتماعى والفكرى والاقتصادى الخاص ، الذى يدخل فى تشكيل الموقف الذى يتخذه من العمل للإسلام ؛ وهذا الموقف بدوره له انعكاسه العميق على تطور المجتمع ، ومدى قدرته على التعاون على المستوى الإسلامى والعالمى .

وينقلنا هذا إلى حصاد الموضوع كله وهو خطوط التعاون فى الدعوة الإسلامية وأبعادها .

القسم الثالث

خطوط التعاون فى الدعوة الإسلامية وأبعادها

٩ ـ الارتباط بالواقع

وإذا ما عدنا إلى منهج القرآن الكريم نستهديه الطريق ؛ وجدنا أنه عندما خاطب قريشاً خاطبها فى مشكلاتها ، وربط هذه المشكلات بالعقيدة ؛ لقد حدثها عن قصة الفيل وعن رحلة الشتاء والصيف ، وعن الحرم الآمن . . وبيّن نصيب العقيدة فى هذا كله ، واتخذه سبيلا إلى الإيمان بالله ؛ ثم عاد فربط هذا الإيمان بمشكلات المجتمع . . فربط ـ على سبيل المثال ـ بين الصلاة والزكاة ، وبين الإيمان وبذل المعونة للفقير والمحتاج ، ووصف المؤمنين بقوله : «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيرًا * فوقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَوْمِ ولَقَّاهُمْ نَضْرَةً وسُرُوراً وجَزَاهُمْ بما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا» [الإنسان : ٨ ـ ١٢] وقال عن أصحاب النار : «ما سَلَكَكُمْ فى سَقَرَ * قالوا : لَمْ نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

المِسْكِين • وكُنا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ » .

[المدثر : ٤٢ ــ ٤٥] .

وإذا ما رجعنا إلى مادة « يسألونك » و « اسأل » فى القرآن ، وجدناها ترد أكثر من عشرين مرة . . وتوضح جانباً من المشكلات التى قابلت المجتمع الإسلامى فى مكة والمدينة ؛ وأكثر ورودها فى الآيات المدنية ؛ وبخاصة فى سورة البقرة ، وهى أول ما نزل من القرآن فى المدينة ففيها وردت سبع مرات : مرة عن الأهلة وفيها يقول ربنا : « هِيَ مَوَاقِيتُ للنَّاسِ والحَجِّ » [البقرة : ١٨٩] .

والربط بالحج له دلالة على أهمية ميقات مكة . وتتعاقب الأسئلة عن الإنفاق ، والشهر الحرام ، والخمر والميسر ، وعن الإنفاق مرة أخرى ، وعن اليتامى ، والمحيض ، وأسئلة بعد ذلك عن قيام الساعة ، وعن الإنفاق فى الحرب ، وعن الروح ، وعن مشاهد القيامة ، وعن قصة ذى القرنين .

فالأسئلة فى الآيات غير مقتصرة على جانب واحد من جوانب الحياة ، وإنما هى تغطى المشكلات التى كان يقابلها المجتمع الإسلامى : دينية واقتصادية واجتماعية وعلمية وتاريخية . وتأسيساً على ذلك ينبغى أن نتصدى للمشكلات التى تقابل مجتمعاتنا . وإذا كان من حق المجتمع الإسلامى أن يسأل ، فمن واجب العلماء أن يجيبوا .

١٠ ــ الدين والمستقبل

ولكن هناك نظرة تحليلية إحصائية أخرى علينا أن ننظر فى ضوئها إلى هذه الآيات المتعلقة بالأسئلة ، دون أن يكون فى هذا تقييد لحق

المجتمع أو الفرد فى السؤال ، وإنما ليكون فى ذلك توجيه للفرد والمجتمع ليبذل جهده وطاقته العلمية فيما هو أنفع له :

إن معظم الآيات التى جاءت مرتبطة بـ « يسألونك » و « اسأل » كنموذج على التفاعل بين الدين والحياة ، انصبت على مشكلات قائمة يقابلها المجتمع وهو فى سيره إلى مستقبله . القليل منها كان عن الماضى والتاريخ — مع التقدير الكامل للتاريخ وبحوثه — والكثير منها أشد ارتباطاً بالمجتمع الجديد ، الذى حمل المسلمون أمانته إلى المدينة ، وكان عليهم أن يحلّوا ما فيه من مشكلات . وفى هذا توجيه لنا بأن يكون حوارنا أكثر ما يكون ارتباطاً ببناء المستقبل منه بالبحث عن مشكلات الماضى .

ولا شك فى دعوة القرآن إيانا إلى الاستفادة من الميراث الإنسانى كله ؛ والله يعلمنا فيقول : « وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ ، وجاءَكَ فى هٰذِهِ الحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى للمُؤْمِنِينَ » [هود : ١٢٠] . ويقول : « لقَدْ كَانَ فى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولى الأَلْبَابِ ، مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلكِنْ تَصْدِيقَ الذى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شىءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ » [يوسف : ١١١] .

فالقصص كان إذاً إثراء للحاضر بالماضى ، وعرضاً لتاريخ الإنسانية ممثلا فى مجتمعات عبر التاريخ ، لها قادتها وقواعدها الشعبية ؛ ومشكلاتها الداخلية والخارجية . وقد استفاد الإسلام من كل ذلك ، ليكون عوناً على بناء الحياة ، ودفعاً لها إلى التقدم والصعود .

وهذا المعبر – فيما أحس – من أخطر المعابر التى يمرّ عليها التعاون الإسلامى : إما أن يضع نفسه على طريق مسدود . من القضايا والمشكلات التاريخية التى لا يمكن فى سهولة ويسر أن يصل فيها إلى حلول حاسمة ، أو آراء نرتضيها جميعاً ؛ وإما أن ننظر إلى ما بين أيدينا من مشكلات الحياة وهى كثيرة ، ونتخذ من الدين نوراً نسير على هداه إلى طريق المستقبل .

ولا شك فى أن الاتفاق على هذه الخطوط الجديدة من التعاون، أقرب منالا وأقوم قيلا . من الدخول فى نقاش وحوار حول قضايا خلافية لم تستطع القرون ، أن تصل فيها إلى حل حاسم ؛ ولا يمنعنا هذا من بحثها على المستويات الأكاديمية والجامعية . ولكن الذى أعنيه أننا فى مرحلة تحتاج منا – أكبر ما تحتاج – إلى مقابلة التحديات التى يفرضها علينا عالم نعيش فيه ، ونحن نتفاعل معه ، شئنا أم أبينا – ونهر الحياة يتدفق دون انقطاع : يحمل السفن ويحطم الصخور التى تعترض طريقه .

١١ – الدين والشباب

وتقابلنا على هذا الطريق مشكلة ، يحس بها كل إنسان منا فى بيته وبين أبنائه ، كما يحس بها العاملون فى الدعوة الإسلامية : وأعنى بها علاقة الأجيال الجديدة بالدين . وتتعدد المداخل التى نستطيع أن نسلكها إلى الشباب ، وبعض هذه المداخل ثبت بالتطبيق العملى أنها متخلفة عن روح العصر ، مما ترك هوة واسعة بين رجال الدين فى مجتمعاتنا وبين الشباب ، وهذه الهوة لابد من معبر نقيمه فوقها . ونعيد النظر فى الوسائل التى نحاول بها تقريب الدين إلى الشباب .

ولا أعنى بهذه المناهج مجرد الوعظ الكلامى ، وإن كانت له أهميته ومكانته ، وإنما أعنى بها المدخل العقلى الذى يستطيع به الشباب الاقتراب من الدين ، ولنحدد بعض جوانب المشكلة :

(ا) هل إعداد رجل الدين الذى يلتقى بالشباب ، يأخذ فى اعتباره مشكلات الحياة المتجددة ؟

(ب) وهل إعداد رجل الدين عندنا ، ما زال إعداداً عاماً ، أم انتقل إلى مرحلة التخصص ، التى يلم فيها الداعية بأصول الدعوة العامة ، ثم يتخصص بعد هذا فى مشكلات قطاع معين من قطاعات الحياة كالشباب عامة أو المثقفين ، أو البيئة الصناعية أو الزراعية أو القوات المسلحة ؟

(جـ) وهل تطوير المناهج فى معاهد إعداد رجال الدين ، يسير بنفس السرعة التى يسير بها تطور الحياة أم هو متخلف عنها ؟

(د) هل الاهتمامات التى تعنى بها الدراسات العليا فى الدعوة الإسلامية ، وثيقة الصلة بالمجتمع ونابعة منه ، أم هى اهتمامات أكاديمية تستهدف الحصول على مؤهل دراسى أعلى ، دون لقاء مباشر مع حاجات المجتمع ؟

هذه مجرد نماذج من المشكلات التى يعانيها الشباب الإسلامى حين يلتقى مع الواعظ والإمام ، فى المسجد أو المدرسة أو حفل عام . . وتحتاج منا وحدها إلى أكثر من مؤتمر .

ومهما تكن اتجاهات اهتمامنا ، فإنها لا تستطيع أن تكون — إذا ما أرادت النجاح — إلا أن تكون ربطاً قوياً بين الدين والحياة ومشكلاتهما المتجددة فى قطاعات المجتمع .

١٢ ـ تصوير المجتمعات القرآنية

وإذا كانت للشباب مشكلة ، فهناك مشكلة أوسع منها وأشمل وتعم المسلمين جميعاً ، وهى المنهاج العلمى الذى ننظر به إلى المجتمعات الإنسانية . وأبادر فأقول إن التمسك الدقيق بالمنهاج القرآنى فى هذه السبيل ، يلتقى التقاء صحيحاً مع المنهاج العلمى . وهناك مدرستان على الأقل يمكن تمييزهما فى هذه القضية :

(ا) المدرسة المثالية : التى تحاول تصوير المجتمعات الإنسانية ـ حين تتبع الدين ـ كأنها مجتمعات خلت من جميع المتناقضات ، واستطاعت الوصول إلى آفاق لا تعرف الشر . وقد ساعد على تأصيل هذه المدرسة الفكرية : فى الدعوة إلى الإسلام ، اتباع أسلوب كتب المناقب عند دراسة تاريخ الإسلام ، فلا تذكر إلا أروع ما تعرف عن العصر وعن رجاله . وقد انعكس هذا تصويراً يصل أحياناً إلى القداسة ، التى قد ترى الأجيال الشابة ، أن الطريق إليها وعر المرتقى ، وعورة قد تقعد به عن محاولة السير فى هذا الطريق .

(ب) المدرسة القرآنية : ولك أن تسميها المدرسة الإنسانية . وهذه تعرض المجتمعات بما فيها من نواحى القوة والضعف ، وتعرض تجاربها فى سبيل التغلب على ما فيها من مشكلات . ولعل من أروع الصور لهذا المنهج ، ما نراه فى سورة آل عمران عند دراسة غزوة أحد ، وفى سورة التوبة عند دراسة مجتمع المدينة وغزوة تبوك فى العام التاسع للهجرة . فهذه الصورة وثيقة اجتماعية تبين توزيع القوى المؤمنة والكافرة والمنافقة فى المدينة وما حولها ، قبيل انتقال الرسول ـ صلى الله

عليه وسلم – إلى الرفيق الأعلى : وتسجل صوراً رائعة من جهاد المؤمنين ، كما تسجل صوراً من نفاق المنافقين . وعندما أحصى السيد رشيد رضا هذه الصور من النفاق ، وضمها إلى مثيلاتها كما جاءت فى سورة البقرة وآل عمران والأحزاب والمنافقين . . وجدها لا تقل عن ثلاثين أسلوباً من أساليب النفاق اتبعها أعداء الإسلام فى قاعدة السلام فى المدينة .

كل هذا كان يدور فى قاعدة الإسلام فى المدينة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإذا ما كان عرضنا لهذه المجتمعات على أساس قرآنى موضوعى ، يعرض نواحى القوة والضعف فى المجتمع وفى النفس الإنسانية ، فإننا نستطيع أن نفتح الطريق أمام شبابنا لمتابعة السير دون خشية من التجربة والخطأ ، ويكفيه – فى مسيرته – أنه استطاع تسجيل خطوات على الطريق ، وليس عليه أن يصل إلى نهايته ، فهذه مهمة أجيال متتابعة ، وإنما واجبه العمل والكفاح الدائم من أجل الحق ، مادام قادراً على ذلك .

وأعتقد – من هذه الزاوية – أن علينا واجباً فى إعادة كتابة تاريخنا لشبابنا ، مع الالتزام الدقيق بالمنهج القرآنى ، الذى علينا أولا أن نتفهم أسسه فى عرض المجتمعات الإنسانية ؛ وتحديد طريق العمل أمام المؤمنين .

١٣ – الدين والتنمية

والعالم الآن ينقسم إلى دول متقدمة ودول نامية ، أو إلى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، أو إلى الذين يملكون والذين لا يملكون .

وكل دولة نامية أو محتاجة إلى معرفة أو مال ، مرتبطة بمستوى حضارى

معين ، وعليها واجب كبير أن تبذل جهدها فى عصر أصبح العلم فيه أخطر الأسلحة .

وإذا كان الطابع الغالب على الدول النامية أنها دول منتجة للمواد الأولية أو الخامات ، وأنها دول فقيرة فى الكفاءة العلمية والمالية ، فإنها لا تستطيع أن تسير فى ركب الحياة ، إلا إذا ما حشدت كل جهودها على طريق التنمية . والتنمية فى طبيعتها ستأخذ اتجاهين : أولهما فى الموارد الطبيعية ، والثانى فى الموارد البشرية ؛ وتنمية الموارد البشرية فى عالمنا الإسلامى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين . فكيف نجعل من الدين دافعاً إلى طريق التنمية ، دون أن نعزله فى إطار ضيق ، بعيد التفاعل الخصب مع مشكلات الحياة .

وأعود إلى قول الله مخاطباً رسوله : « يسألونك » ، فهل تسأل شعوبنا الدين؟ وهل تجد عنده الإجابة الحية ، أم لا تجد إلا رجع الصدى فتنصرف عن هذا الباب ؟

من هنا تبدو علاقة قوية بين الدين والتنمية والعدالة الاجتماعية ، وفتح المجالات أمام الكفاءات ، فترى مهمة الدين كما حددها الله . « وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ » .

ومن طبيعة الدين أن يعطى الخط العريض للسير على طريق الحياة ؛ خط العدل والإخاء والحرية والدفاع عن الحق . والدين بطبيعته مستجيب لهذا كله . وإنما علينا أن نقول كلمة الدين فى هذا لتكون نوراً وهدى للناس.

كل قيد على تنمية المجتمع من تفرقة عنصرية ، أو حواجز دون الإخاء الكريم بين الناس ، وكل حق مغتصب ، كل أولئك ينتظرون من الدين ورجاله كلمة تدعوهم إلى إصلاح وجه الحياة ، وإقامة ميزان الحق والعدل فيها .

١٤ ـ القضايا الإسلامية الكبرى

ويأتى بعد هذا موقفنا من القضايا الإسلامية الكبرى ذات الطابع الذى لا يقتصر على قطر بعينه ، وإنما يشمل تأثيرها أقطار الإسلام جميعاً ، وفى حياتنا المعاصرة نموذجان واضحان على ذلك .

الأول : ما يتعلق بمواقيت الصلاة والصوم والحج تأكيداً لوحدة العالم الإسلامى فى عباداته ، وتدعيماً للشخصية الإسلامية على أساس علمى .

الثانى : ما يتعلق بالأرض العربية السليبة وبيت المقدس ، والمسجد الأقصى الأسير المحترق ، ومكانته الإسلامية عبر التاريخ ، وواجبنا المقدس نحو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، وإخواننا الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق .

إنها هجرة جديدة ترك فيها إخواننا ديارهم ، وفى آذانهم نداء ربانى يرجون تحقيقه كما حققه الله لرسولهم الأعظم عندما هاجر من مكة : « إِنَّ الَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » [القصص : ٨٥]

وإنه لقدر مرّ به الأنبياء والمرسلون . ومن قبل رسولنا هاجر المسيح ـ عليهما السلام ـ من فلسطين إلى مصر لاجئاً ، حتى أذن الله له بالعودة إلى وطنه .

تاريخنا طويل فى الهجرة واللجوء والإخراج من الديار والعودة إليها . . وعلينا واجب مقدس ، أن ترتبط دعوتنا إلى الله بقضايانا الكبرى ، فليس هناك أحد من المسلمين أحق ببيت المقدس من أحد ، ولا أولى به من أحد ، وإنما هو بيتهم جميعاً ، عاش فيه العرب والمسلمون ، وجعلوه أرض السلام لكل صاحب دين يأتيه متعبداً .

وكما ارتبطت الدعوة إلى الله، على عهد الرسول، بالجهاد الكبير للعودة إلى مكة وتأمين قاعدة الإسلام، ترتبط الدعوة إلى الله الآن بالعودة إلى بيت المقدس وتأمين أرض السلام، والإسلام.

وإذا كنا نقرأ فيما علَّمنا ربنا: «لقد صدق اللهُ ورسولَه الرؤيا بالحقِّ لَتَدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللهُ آمنين مُحلِّقين رءوسَكُمْ ومُقَصِّرين لا تخافون» [الفتح: ٢٧]

فإن للمسلمين بعامة، وللعرب بخاصة، الآن رؤيا يرجون أن تتحقق بدخول بيت المقدس آمنين، ليعيدوا إليه السلام.

١٥ ـ القضايا الإنسانية

وللإسلام عناية بالقضايا ذات الطابع الإنساني العام، وله فيها مواقف واضحة ومن أبرزها:

(١) قضية التفرقة العنصرية: فالإسلام يؤمن بأن الناس جميعاً إخوة وأنهم أبناء أب واحد، وأن روابطهم ينبغي أن تقوم على الحب والرحمة، وأن التفاضل بينهم لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح، والإسلام ينظر إلى الألوان بمساواة مطلقة: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خلقناكم مِنْ ذكرٍ وأُنثى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لتعارفوا، إنَّ أَكرَمَكُمْ عند الله أَتقاكُمْ، إنَّ اللهَ عَليمٌ خبيرٌ» [الحجرات: ١٣].

(ب) التخلف الاجتماعى الاقتصادى : والإسلام لا يرى للإنسان ــ أى إنسان ــ أن يعيش فى قيود التخلف ، ومن أجل هذا يدعو إلى العلم والإنتاج والتقدم والحرية مع عدل يحيا فى ظله المواطنون .

فالسير على طريق التقدم والتخلص من مظاهر التخلف ، أصول تقوم بها الحياة الإنسانية وهى من صميم الإسلام . ودعوتنا إلى الله ينبغى أن توضح هذه الآفاق الإنسانية السامية للإسلام بعرضها على أنفسنا وعلى الناس جميعاً .

خاتمة

هذه روح القرآن فى اهتماماته بالحياة ، تأكيداً للإيمان فى نفوس الأجيال الصاعدة ، وعناية بمشكلات الحياة على المستويات المحلية والإسلامية الشاملة ، والعالمية ذات الطابع الإنسانى ، وذلك فى مجالات التنمية فى مدلولها الواسع الذى يقابل قضايا الحياة فيثريها بحوار خصب ، يستمد من جوهر الدين لتستطيع المجتمعات الإسلامية والإنسانية أن تتابع سيرها على طريق التقدم .

ولا شك فى أن توفير الجهود يقتضى منا تنسيقاً بين الجامعات الإسلامية ومجامع البحوث ومراكزها ، والمؤتمرات الدورية التى نعقدها من أجل ذلك ، على هدى من قول الله تعالى :

« فَبَشِّرْ عِبَادِ * الذين يستمعون القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ، أُولئك الذين هَدَاهُم اللهُ ، وأُولئك هم أُولو الأَلْبَابِ »

[الزمر : ١٧ ــ ١٨] .